أن نهزم دولة تكنولوجية نووية بقيادات نصف موهوبة أو نصف كفؤة... لنتذكر التجربة الفيتنامية وتجربة الحزب البلشفي، والذي شاهد – هذه إضافة – فيلم «ناجي العلي» للفنان نور الشريف يبكي ويضحك ويحزن ويفرح في آن، بل إن هذه التداعيات تصلح مادة خاماً لرواية سيكولوجية. ولو كان ديستوفكي حياً لكتب جزءاً آخر للجريمة والعقاب().

مرة أخرى ينبغي فحص إفرادي لعضوات الحلقات المميزات اللائي يمكن ترشيحهن للحزب بعد المرور بمرحلة انتقالية يشرح فيها النظام الداخلي وقضايا فكرية وسياسية عديدة تشكل ملخصاً لرؤيتنا البرنامجية، علاوة على تكليفهن بمهام عملية محددة سيما انتفاضية وفي «الإطار» والتأكد من انتظام اجتماعاتهن وتسديد الاشتراك... الخ، إذ لا ينبغي الهبوط بشروط العضوية. فالقاعدة مرآة للحزب، وكلما ارتخت والتبست إنما تكون مرآة لارتخاء قيادة الحزب والتباس خطه وتفكيره، ناهيكم عن صفات الصدق والشجاعة والتضحوية والتمرد على التخلف... ومفيد التحدث عن:

٤- أمنياً: ١- منذ فترة رفع الحزب شعار (الاعتراف خيانة للحزب وتفريط بشرفه) بما ينطوي عليه ذلك من إجراءات توازي حجم الاعتراف، وهذا يشمل الفصل من الحزب أحيانا. وقد تم فصل «كادر» وهو في الزنازين بعد أن «وشى»، نعم فالاعتراف يعادل الوشاية أحيانا، برفاقه في لجنة كادرية، ولولا صمودها لتعرضنا لضربة موجعة، إلى درجة أن يعطي تقديراته عن أشخاص لا صلة حزبية له بهم... وكان هذا السلوك الذلول هو الاستثناء والشاذ إذ أننا منذ عقد ويزيد لم نعرف اعترافات وانكسارات في الصفوف الكادرية، بل لولا الصمود المشرف لما ارتفع صرح الحزب وراكم ما راكم، وهذا ينسحب على بعض الرفيقات أيضا...

فالصمود في الزنازين معيار أساسي في تقييم الكادر، والصمود لم يعد مسالة فردية فهناك المئات من رفاقنا الذين سجلوا مأثرة صمودية وتحديا نفاخر به، بل إننا نتمايز هنا على القوى الأخرى دون لبس أو إبهام، حتى أن ضباط مخابرات العدو يعترفون بذلك.

وثمة جوانب أخرى تساعد على صمود المرأة في الزنازين إذا تلقت التربية والإعداد المسبق، أي إضافة للقناعات الفكرية والسياسية والتثقيف الأمني الذي يشمل الجميع، هناك ١- حافز ذاتي يطيح بالنظرة الدونية للمرأة بأنها اقل صلابة أو اقل كرامة أو اقل إرادة... فهي لا تستسلم لهذا المنظور الرجعي الأمر الذي يحفزها على تأكيد إنسانيتها وصلابتها... ٢- نعتقد أن المرأة الفلسطينية أكثر صفاء وانسجاما، فلم تتطبع، وهي تجاهر برفضها للاحتلال والتمرد على ضباط مخابراته، فهي أشبه بالفرس البرية- معذرة على التشبيه – التي لم تعقل بلجام الاحتلال، ويندر احتكاكها المباشر بالاحتلال، بخلاف مئات آلاف الرجال الذين اضطروا للعمل في المشاريع اليهودية أو اعتقلوا مرة ومرات... ونعتقد أن هذا يجعلها اقرب للتكوين الفطري الذي ينزع للحرية بل هي أكثر شفافية في الرغبة «بالثأر» للرجل الذي يتعرض للتنكيل والمهانة، وقد قرأنا عن شيء من هذا القبيل في التجربة الفيتنامية.